الحشاشون ما بين المفهوم والوصف قراءة نقدية لآراء برنارد لويس في كتابه " الدعوة الإسماعيلية الجديدة (الحشيشية) "

منتظر محمد قاسم
أ.د. نضال محمد قمبر
أ.م.د. ذكرى عواد ياسر
جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم التاريخ

المستخلص:

تعد حركة الحشاشين ومذهبهم من اهم الفرق الاسماعيلية الباطنية التي استطاعت ان تكون لها كيان سياسي اخذ يشكل تهديداً صريحاً للقوى المعاصرة له من عباسيين وسلاجقة وايوبيين وصليبيين في محيطها الجغرافي المنيع المتحصن في قلاع ابرزها ألموت في بلاد فارس ، لتشمل مناطق من سوريا ، ولقد عنى المستشرقون بدراسة الفرق الاسلامية ومنها الباطنية والاسماعلية لأهداف وغايات عقائدية فتصدر لويس لدراسة الحشاشون في كتابه (الحشيشية) الذي تناول فيه التسمية والنشأة وصولاً الى تاريخهم العسكري والسياسي ونظامهم العقائدي والاجتماعي حتى نهايتهم ، ولأهمية هذا الكتاب انتقت الدراسة احد محاوره المتعلقة بنقل مفهوم مفردة وكلمة الحشيشية ، وما يرتبط بالأوصاف التي قيلت فيهم من خلال تلك الآراء التي عنى لويس بنقلها عنهم.

الكلمات المفتاحية : لويس ، الحشيشية ، الحشاشين

The Assassins: Between Concept and Description — A Critical Reading of Bernard Lewis's Views in His Book " The New Ismaili Da‘wah (The Hashshashin) "

Abstract

The Hashashin movement and their doctrine are considered among the most significant branches of the Isma'ili Batiniyya sect, having succeeded in establishing a political entity that posed a clear threat to its contemporary powers — the Abbasids, Seljuks, Ayyubids, and Crusaders — within their fortified geographic stronghold, most notably the fortress of Alamut in Persia, and later extending to regions in Syria. Orientalists showed great interest in studying Islamic sects, including the Batiniyya and Isma'ilis, often driven by ideological and doctrinal motives. Lewis took the lead in studying the Hashashin in his book The Assassins, in which he explored their name, origins, and traced their military and political history, along with their doctrinal and social system, up to their eventual end. Due to the importance of this book, the current study selected one of its key themes — the transmission of the concept and meaning of the term Hashishiyya, as well as the descriptions associated with them, based on the views Lewis conveyed.

Keywords: Lewis, Hashishiyya, Hashashin

الحشاشون ما بين المفهوم والوصف قراءة نقدية لآراء برنارد لويس في كتابه " الدعوة الإسماعيلية الجديدة (الحشيشية) "

المقدمة

اهتم المستشرقون بدراسة الفرق الإسلامية، ومنها الباطنية والإسماعيلية، بدوافع وأهداف عقائدية. وقد تصدّر المستشرق لويس هذا الاهتمام من خلال كتابه (**الدعوة الاسماعيلية الجديدة – الحشيشية**) إذ تناول فيه جذور هذه الفرقة منذ نشأتها وحتى نهاية دولتها، وما تبقى من آثارها، وقد ركزت هذه الدراسة على الفصول المتعلقة بالمفاهيم والنظريات التي وردت حول تسمية (الحشاشين) إلى جانب الأوصاف التي نسبت إليهم من خلال الآراء التي نقلها لويس عنهم، مستندًا في ذلك إلى شواهد تاريخية تؤكد وجود فرقة وصفت بالخطيرة، أُطلق عليها هذه التسمية ، واعتمد لويس في تحليله على مصادر متعددة، خاصة الأوروبية والمسيحية منها لدعم رؤيته، ووعليه قسم البحث إلى محوريين اساسيين اهتم الاول بمفهوم التسمية واصلها ، اما المحور الثاني فقد عنى بوصف فرقة الحشاشين من وجهة نظر لويس ، ويلحظ أن المحورين متداخلان إذ إن طبيعة التسمية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالأوصاف المنسوبة إلى هذه الفرقة، ومن الجدير بالذكر ان البحث عول على كتاب لويس المسمى (الدعوة الاسماعيلية الجديدة – الحشيشية) كمصدر اساسي لاستطلاع آرائه في دراستنا النقدية، اضف إلى ذلك عددًا من المصادر الاولية الاسلامية كإثباتات تاريخية لبيان ما نقله لويس عنهم .

- الحشاشون قراءة في المفهوم والاصل :

تكاد تكون هذه التسمية الاكثر جدلاً لوجود عدة تفسيرات مختلفة ومتباينة حول اصلها ومعناها واشتقاقها، فمنهم من يرى ان هذه التسمية اطلقت من قبل مؤرخي الحروب الصليبية [١]، تأثر عدد من المؤرخين المعاصرين لعصر الحملات الصليبية، ومن جاء بعدهم، بالرؤية السلبية تجاه هذه الطائفة، إذ تبنوا نظرة معادية انعكست في كتاباتهم وتفسيراتهم ،ومن بين أبرز المواضيع التي تناولها هؤلاء المؤرخون مسألة معنى واشتقاق اسم (الحشاشين) فقد ادعى بعضهم أن الاسم محرف من كلمة (الحسنيين) في إشارة إلى أتباع الحسن بن الصباح، بينما رأى آخرون أن الكلمة مرتبطة بأداة السكين، في حين ذهب فريق ثالث إلى أنها تعني (ملك الملوك) كما يعتقد أن الصليبيين نقلوا هذا المصطلح إلى أوروبا، حيث تم تحريفه إلى (أساسيني) أو ما شابهها وهي الكلمة التي ظهرت أيضًا في كتابات بعض المؤرخين اليونانيين بصيغة (خزسيوي) ، وقد أورد الرحالة اليهودي بنيامين التيوديلي (بنيامين التطيلي) التسمية بصيغتها الأقرب إلى الأصل العربي، فكتبها (حشيشين) وهي مقابلة لكلمة (حشيشي) في العربية التي تجمع على (حشيشيين) أو (حشيشية) وقد أُطلق هذا الاسم على فئة من الإسماعيليين بسبب ما نسب إليهم من استخدام لمادة (الحشيش) وهي المادة المعروفة اليوم باسم (البنج) ،ومع ذلك تشير بعض المصادر إلى أن (شيخ الجبل) زعيم الطائفة لم يكن يشجع أتباعه على تعاطي الحشيش أو الإدمان عليه، نظرًا لما يسببه من

ضعف في التركيز، مما قد يعيق تنفيذهم للمهام المكلفين بها، والتي تتطلب دقة عالية في التخطيط والتنفيذ، وحذرًا شديدًا في استهداف خصومهم [٢] .

ولعل هذا التفسير جاء موافقًا لرأي البعض أن استخدام الحشيش هو ما يدفع الحشاشين إلى تنفيذ الاغتيالات بشجاعة وتضحية، زاعمين أنه يفقدهم الإرادة والوعي ، غير أن هذا الادعاء عارٍ من الصحة، فالحشيش يضعف القوة والإرادة، ويؤدي إلى إفشاء الأسرار، وهو ما لا يتوافق مع طبيعة الفدائي الحقيقي [٣] .

ولقد ناقش أحد الباحثين تسمية الأوروبيين لأتباع ابن الصباح بـ (الحشاشين) معتبرًا ذلك ادعاءً غير دقيق، إذ أن ابن الصباح لم يكن يستخدم الحشيش للسيطرة على أتباعه، بل كان فيلسوفًا باطنيًا ومبتكرًا لنظام الفدائيين، بينما كان أتباعه يناقشون ويتعلمون، كما أشار الغزالي بتسميتهم (التعليمية) مما يتعارض مع تأثير الحشيش المُعوق للعلم [٤] .

كما ان لقب (الحشيشية) الذي أطلقه (المستعلية) على النزاريين غايته الاستهزاء بهم بالقول أنهم باعة حشائش لا أصحاب دولة ومذهب وعقائد [٥] ولعلنا نتفق مع الرأي الذي يربط تسمية النزاريين باستخدامهم للحشائش البرية في العلاج والتداوي إذ تخصص بعض أفرادهم في مهنة الطب والصيدلة فكان يطلق على كل منهم لقب (الحشائشي) ومع مرور الوقت أصبح هذا العمل مهنة بارزة بين النزاريين، فقاموا بزراعة الأعشاب والحشائش الطبية في مناطقهم المختلفة، سواء في الجبال أو القرى، وحتى في حدائق منازلهم كما كان النساء والأطفال يشاركون في جمع هذه النباتات الطبية وبيعها إلى (سيد ألموت) وأتباعه [٦] .

اما اصل كلمة الحشاشين فلعلنا نميل إلى الرأي الذي يرجح أصلها العربي واستخدمت من قِبل المستعلية ضد النزارية، ووافقهم مؤرخون أوروبيون في زمن الحروب الصليبية، رغم عدم ثبوت استخدام الحسن الصباح وأتباعه لمادة الحشيش. ويبدو أن التسمية نابعة من نظرة عدائية تصفهم بالزنادقة والملحدين [٧] ، فاصل كلمة (أساسن) والتي تعنى القاتل الذي يقتل الناس خفية مشتقة من كلمة (الحشاش) العربية [٨] .

- الحشاشون عند لويس بين التحليل المفهومي والوصف التاريخي :

استقصى لويس في كتابه (الدعوة الاسماعيلية الجديدة – الحشيشية) الجذور الأولى للحشاشين كمفهوم ووصف ونشأة ، مستدلاً بالشواهد التاريخية الدالة على وجود فرقة خطيرة اطلق عليها مسمى (الحشيشية) موظفًا في بيان معنى كلمة (حشيشية) والمفاهيم المتعلقة بأوصافهم إذ تصدرت رسالة الراهب الألماني (بروكارديوس) إلى ملك فرنسا (فيلب السادس) عام (٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) ، وكان الملك

مجلة آفاق للعلوم الاجتماعية والإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٥٠ – أيلول لسنة ٢٠٢٥

في هذه الفترة يعد لحملة صليبية جديدة لاستعادة الأماكن المقدسة وهي عبارة عن رسالة تحذيرية للوقاية من المخاطر التي سوف تواجهه [٩] ، جاء فيها (**أنا أسمي بين هذه المخاطر الحشيشية الذين ينبغي لعنهم والفرار منهم ، لأنهم باعوا أنفسهم ، وهم عطشى للدماء البشرية ، يقتلون البريء لقاء ثمن ، ولا يكترثون من أجل حياة أو خلاص ، وهم كالشيطان يحولون أنفسهم الى صورة ملائكة النور ، وذلك بتقليد حركات الشعوب والأقوام المختلفة ، وملابسهم ولغاتهم وعاداتهم وأفعالهم ، هكذا تصادفهم متخفين في ثياب الشياه ، فعليك أن تذيقهم الموت في اللحظة التي يميزون بها . وفي الحقيقة لما كنت لم أرهم ، إنما عرفت هذا عنهم بما تواتر حولهم أو بالكتابات الصادقة : لا يمكنني أن أبوح بأكثر من هذا ولا أن أقدم معلومات أوفى ، فأنا لا يمكنني أن أوضح كيف يمكنك تمييزهم بعاداتهم أو بأية علامات أخرى . لأنهم غير معروفين بمثل هذه الأشياء بالنسبة لي ولا للآخرين أيضاً ، كما أني لا يمكنني أن أبين كيف يمكنك فضحهم بواسطة أسمائهم ، لأن حرفتهم على غاية من الخبث ومزدراة بشدة من قبل الجميع إلى حد جعلهم يخفون أسماءهم إلى أقصى درجات الكتمان ، ولهذا أنا أعرف منجعاً واحداً من أجل سلامة الملك وحمايته ، وهو أنه ينبغي أن لا يؤذن لأحد من أفراد الحاشية الملكية بأداء أية خدمة مهما كانت صغيرة أو قصيرة أو حقيرة اللهم إلا لهؤلاء الذين تعرف بشكل أكيد كامل وواضح مواضع مواطنهم ، وأحسابهم وشخصهم وأحوالهم**) [١٠] .

وفي قراءة نقدية لنص الرسالة نلحظ اموراً عدة :

١) نعت هذه الفرقة بأسوأ الصفات الشيطانية في تعطشهم للدماء ووصفهم بالقتلة المأجورين امتازوا بالمكر والخداع والتخفي وصعوبة الكشف عنهم ووجوب الحذر منهم مبررًا الصفة الشرعية لاغتيالهم لقوله (**... فعليك أن تذيقهم الموت في اللحظة التي يميزون بها**) [١١] .

٢) نجد ازدواجية في الرأي ففي الوقت الذي ينهال عليهم بأسوأ الالفاظ نجده في الوقت ذاته ابدى تصريحًا بان ما ذكره لا يعتمد على رؤيته الخاصة انما نقله عن مصادر يعتقد بمصداقيتها لم يستطع ان يقف فيها على معلومات اكثر من قوله (**وفي الحقيقة لما كنت لم أرهم ، إنما عرفت هذا عنهم بما تواتر حولهم أو بالكتابات الصادقة : لا يمكنني أن أبوح بأكثر من هذا ولا أن أقدم معلومات أوفى**) [١٢] .

٣) من بين المحاذير التي اشار إليها صعوبة الكشف عن هويتهم والتعرف عليهم لشدة حذرهم في التخفي مقترحاً على الملك اخذ الحيطة في التعامل مع الغرباء دون التوثق منهم .

ولم يكتف لويس بنقل نص رسالة (بروكارديوس) إذ عمد لويس إلى نقده معلقًا على غموض هوية الحشاشين في الانتماء الطائفي والقومي والجغرافي اضف إلى غموض في الاهداف السياسية والتوجهات

العقائدية ، وكل التأكيدات تتلخص بضرورة الحذر والاحتراس منهم كونهم يشكلون احد مخاطر الشرق آنذاك [١٣] .

ولعلنا نجد في هذا الرأي نوع من التخبط الحاصل في تحديد هوية وانتساب الحشاشين ، وبذلك فقد ابعد وجهة النظر القائلة في كونها احدى الطوائف الاسلامية الشيعية بشكل عام ، والفاطمية النزارية بشكل خاص ، وهو ما تصدر له لويس في هذا الرد [١٤] .

وتتبع لويس المعاني المرتبطة بلفظة (الحشيشية) السائدة ابان القرن الثالث عشر الميلادي في الاستعمالات الأوربية والتي تتجه في معناها إلى القاتل المحترف المأجور مستعرضاً جملة من الآراء من ضمنها رأي المؤرخ الفلورنسي جيوفاني فيلاني (ت٧٤٩ هـ /١٣٤٨ م) ، الذي روى تفاصيل ارسال صاحب لوكا [١٥] جماعة اطلق عليها اسم حشيشية إلى بيزا لقتل اعدائه [١٦]، ونقل لفظة من كتاب (الجحيم) لدانتي تحت مسمى الحشيشي الغدار [١٧]، وفي تفسير فرانسيسكو دابوتي وهو من ابناء القرن الرابع عشر اعطى تفسيرا للفظة الحشيشي ، بانه القاتل مقابل المال [١٨] .

وعلى الرغم من عناية لويس في تقصي معناها حسب المفهوم اللغوي الاوربي في من فسرها كمرادف لكلمة قاتل وغادر ، الذي يستهدف شخصيات ذات مكانة عالية مدفوعاً بالتعصب ، إلا أن لويس في الوقت ذاته يرجح هذا الحكم وفق هذا المفهوم لموارد تابعة لمؤرخي الحروب الصليبية اطلقتها على احدى الطوائف الإسلامية التي وصفها بالشذوذ موطنهم غربي سورية ، يتزعمهم على حد قوله شخصية أسطورية عرفت باسم شيخ الجبل [١٩] .

واستدل لويس على امرين في غاية الاهمية فيما سبق مفهوم الحشيشية :

الأمر الاول : اكد عدم استمراريتهم بالقتل التعسفي لقوله (**... على أن الحال لم يكن دائمًا هكذا**) [٢٠]

الأمر الثاني : حدد هوية الحشاشين الدينية بوصفها احدى الطوائف الاسلامية ، اضف إلى موطنهم مسميًا زعيمهم .

ووقف لويس في تقرير لرسول فردريك بربروسا أرسله (٥٧١هـ/ ١١٧٥م) إلى كل من مصر وسورية قائلاً في ذلك (**أنه يوجد في الجبال على أطراف دمشق وأنطاكية وحلب جنس معين من المسلمين قد يدعون محليا بالحشيشية وفي الروماني Segnoro de Montana (سادة الجبال) ، وتعيش هذه المخلوقات من الناس بلا قانون ، فهم يأكلون لحم الخنزير . مخالفين بذلك الشريعة الاسلامية ، ويطؤون النساء بلا تمييز بما في ذلك أخواتهم وأمهاتهم ، وهم يقطنون في الجبال ، ويكاد يكون مستحيلاً الوصول إليهم لأنهم انحازوا إلى قلاع جيدة التحصين ، وبلادهم غير خصبة ، لذلك هم يعتمدون**

مجلة آداب الحضارة للعلوم الإنسانية
العدد ٣٠ – المجلد ٥٠ – أيلول لسنة ٢٠٢٥

في عيشهم على قطعانهم ، ولهم من أنفسهم زعيم يقذف الرعب الشديد في قلوب أمراء المسلمين قريبهم وبعيدهم ، وتنطبق هذه الحالة نفسها على جيرانهم من الحكام النصارى ، لأن له عادة في قتلهم بطريقة مدهشة ، والوسيلة التي صنع بها هذا هي كما يلي : يوجد في حوزة هذا الأمير في الجبال العديد من القصور البارعة الجمال ، والمحاطة بأسوار شاهقة ، لذلك ما من أحد يستطيع دخولها إلا من باب صغير محروس بعناية ، وعنده في هذه القصور الكثير من أبناء فلاحيه الذين نشئوا هناك منذ نعومة أظفارهم ، حيث جعلهم يتعلمون مختلف اللغات كاللاتينية والاغريقية والرومانية والاسلامية مع بعض لغات أخرى . ولقد علَّم هؤلاء الفتيان من قبل أساتذتهم منذ طفولتهم وحتى رجولتهم بأن عليهم إطاعة جميع كلمات وأوامر سيد أرضهم ، وأنهم إذا فعلوا ذلك ، فإن الذي هو أقوى من جميع الأرباب الأحياء سيمنحهم نعيم الفردوس . وعلموا أيضا بأنه لا يمكن إنقاذهم اذا قاوموا إرادته في أي شيء ، وعليك أيضا أن تلاحظ بأنه منذ الوقت الذي يؤخذون به أطفالا لا يرون إلاّ أساتذتهم ورؤساءهم ، ولا يتلقون أية تعليمات حتى يتدعوا إلى حضرة الأمير لقتل شخص ما . وعندما يكونون في حضرة الأمير . يسألهم فيما إذا كانوا على استعداد لإطاعة أوامره حتى ينعم عليهم بالفردوس . وبناء على هذا ، وكما دربوا ، وبدون تردد أو ريب ، يرمون أنفسهم على أقدامه ويجيبون بالرضى ، وأنهم سيطيعونه في كل شيء سيأمرهم به ، وعند ذلك يعطي الأمير كلا منهم مدية ذهبية ، ويبعث بهم القتل أي أمير ، عينه لهم) [٢١] .

شكل هذا التقرير مجمل عام وصف لمعيشة الحشاشين وصفاتهم ، وحدد في تقريره اماكن تواجدهم في الجبال الواقعة أطراف دمشق وأنطاكية وحلب وهم من المسلمين ، فضلاً عن التسمية التي عرفوا بها ، متهمًا اياهم بمخالفة القوانين والشرائع الاسلامية ، واساليبهم مع اعدائهم سواء من امراء المسلمين او الصليبيين، ومعرفتهم باللغات ، مهتماً بنقل طاعتهم العمياء لسيدهم وطبيعة تعامله وعلاقته باتباعه [٢٢] .

وقف هذا التقرير على جملة من الامور نستخلصها بالآتي :

١) تناقض في وصف الجماعة بين العشوائية ومخالفة الإسلام، وبين ثقافتهم العالية وتعلمهم المتقن.
٢) المبالغة في التهم مثل أكل لحم الخنزير والزواج العشوائي، حيث ظهرت هذه التصرفات فقط عند داعية واحد، ولا تعمم على الحركة كلها.
٣) وجود تدريب عملي وعسكري مميز للأعضاء منذ الطفولة.
٤) وصف الوضع الاقتصادي والمعيشي لهم، بما في ذلك ممتلكاتهم وأراضيهم.
٥) التأكيد على أهمية التعليم على يد أساتذة مطلعين وتعلم لغات متعددة، بالإضافة إلى تدريب على الطاعة العمياء لقادتهم.

ومن الجدير بالذكر نجد ميول لويس في الاستعانة بمصادره الاوربية لاسيما المسيحية في تقديم شرح ووصف لهذه الفئة واعطاء صورة اكثر وضوحًا لتقريبها إلى فئة الحشاشين وبالتدريج ، فنقل بيانًا قصيرًا

مجلة آداب ذي قار للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٥٠ – أيلول لسنة ٢٠٢٥

كتبه وليم رئيس أساقفة صور بسنوات قليلة ضمن التاريخ الذي صنفه عن الدويلات الصليبية ذكر فيه (**يوجد في مقاطعة صور ، أو بالحري ما يسمى فينيقية ، وفي دوقية طرطوس ، شعب يملك حصونا منيعة مع قراها المتعلقة بها ، وعدده حسبما تناهى في الغالب إلينا حوالي ٦٠,٠٠٠ ، أو أكثر ومن عادتهم تعيين رئيسهم واختيار زعمائهم لا بالوراثة ، وإنما اعتماداً على فضيلة الخلق فقط ، وهم يدعونه الشيخ ، لأنهم يحتقرون ألقاب التعظيم الأخرى، ورباط الخضوع والطاعة الذي يربط هذا الشعب برئيسه قوي جداً ، حيث ما من أحد منه إلا ويود أن يأخذ على عاتقه تنفيذ أية مهمة ـ مهما كانت صعبة أو مجهدة أو خطيرة ـ بأعظم غيرة ممكنة وذلك منذ اللحظة التي يأمره رئيسه بها . ومثال على هذا أنه إذا كان هناك أمير مكروه أو لا يوثق به من قبل هذا الشعب ، يعطي الرئيس مدية إلى واحد أو أكثر من أتباعه ، وفوراً وما أن يتلقى أي منهم الأمر حتى يمضي حالاً لتنفيذه ، دونما اعتبار لنتائج هذا العمل أو تقدير لامكانات النجاة ، ويكمل بغيرة تامة مهمته ، وتراه يعمل بجد وجهد طوال الفترة التي يحتاجها ، حتى يجد الفرصة ليقوم بتنفيذ أوامر رئيسه ، هذا وإن كلاً من شعبنا وشعب المسلمين يدعونهم بالحشيشية ، ونحن لا نعرف أصل هذا الاسم**) [٢٣] .

وعن ابرز المرتكزات الواردة في البيان ما يأتي.

١) **وجود جماعة قوية في صور**، خاصة في بارونية طرسوس، تمتلك حصونًا وقرى تابعة، ويقدر عددهم بحوالي ٦٠,٠٠٠ أو أكثر.
٢) **اختيار القادة لا يتم بالوراثة**، بل يعتمد على الأخلاق العالية والتواضع، مما ينفي ما ورد في مصادر سابقة من اتهامات. بينما في بلاد فارس كان الحكم وراثيًا باستثناء الحسن الصباح، الذي اختار خلفاءه وفق معايير دقيقة. أما في سوريا، فكان التعيين يتم من قبل حاكم ألموت.
٣) **الطاعة التامة والاندفاع العقائدي** من أبرز سماتهم، إلى جانب التدريب المنظم، الالتزام الصارم بالأوامر، وقوة إرهابهم للأعداء، مستفيدين من مناعة حصونهم وكثرتهم.

وتراجع لويس في الزمن قليلاً وتحديدًا عام (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) ناقلاً الاثار التي خلفها الحشاشون وهي عبارة عن سكاكين خاصة بهم استخدمت في اغتيال عدد من أمراء المسلمين مسميًا اول ضحية صليبية في صور وهي شخصية كونراد أوف مونتفرات المرشح تنصبيه ملك على مملكة القدس اللاتينية في عكا [٢٤]، وعنى لويس مثله مثل معظم مؤرخي الحملة الصليبية الثالثة في نقل الاثار المترتبة على هذا الاغتيال ومخاوف الصليبين الذين وصفوا الحشاشين بغرابة العقيدة واساليبهم المرعبة ، وفي هذا الصدد اهتم بالاستشهاد برأي المؤرخ الألماني آرنولد أوف لوبك الذي عنى بتقديم وصف ساخر عن زعيم الحشاشين متهماً اياه باستخدام السحر لكسب اتباعه وجرهم الى طاعته إلى حد التأليه والقداسة واعداً إياهم بحسن الثواب والسعادة الابدية على حد قوله (**إنني سأقص الآن شيئاً حول هذا الشيخ ، قد يبدو مضحكا ، ولكنه**

مجلة آداب الحضارة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٥٠ – أيلول لسنة ٢٠٢٥

أكد لي ببراهين الشهود العدول ؛ لقد زيغ هذا الشيخ بسحره عقول رجال منطقته إلى حد أنهم لا يعبدون ولا يعتقدون بإله غيره ، وعلى نفس الغرار ، وبشكل غريب أغواهم بالأماني والوعود باللذة والسعادة اللانهائية إلى حد أنهم يفضلون أن يموتوا على أن يعيشوا ، حتى أن كثيراً منهم عندما يكونون واقفين على جدار عال يقفزون من عليه بناء على إيمائه أو أمر منه ، وهكذا يهشمون رؤوسهم ، ويموتون ميتة تعسة، ويؤكد هو لهم بأن أفضلهم ، هم هؤلاء الذين يسفكون دماء الناس ، وفي الانتقام لمثل هذا الفعل هم أنفسهم يذوقون الموت . ولذلك عندما يختار بعضهم أن يموتوا بهذه الطريقة ، أي أن يقتلوا بالحرفة شخصا ما ، ثم بعد ذلك هم أنفسهم يقتلون قتلة مباركة انتقاماً له ، يسلمهم الشيخ نفسه سكاكين - يخيل لك أنها منذوره لهذه المسألة - ثم يخدرهم بمخدر يجعلهم في غيبوبة وهذيان ، وعندها يعرض عليهم بعض الأحلام المثيرة والمليئة بالانشراح والسرور ، أو بالحري بالخيال الكاذب ، ويعدهم بأنهم سيحوزون هذه الأشياء أبديا ثوابا لقيامهم بمثل هذه الأعمال) [٢٥] .

وتعقيبًا على كلام هذا المؤرخ الذي يحمل في طياته الهديد من التناقضات يمكن ان نلخصها بالردود الاتية :

١) يظهر تناقض واضح في اختيار القائد بناءً على صفات أخلاقية رفيعة، في حين أن أفعاله وتوجيهاته لأتباعه تتسم بالإجرام، كالتحريض على القتل وسفك الدماء، مع استخدامه الخداع والمراوغة من خلال وعود كاذبة لكسب ولائهم.

٢) استخدام المخدرات المؤدية إلى الغيبوبة وفقدان الوعي لا ينسجم مع طبيعة المهام المنوطة بهؤلاء الأفراد، خاصة أن تنفيذ عمليات القتل يتطلب وعياً تاماً وتركيزًا عاليًا ودقة في إصابة الهدف، مما يتعارض مع وصفهم بالانتحاريين.

٣) من المحتمل أن تكون الاتهامات الموجهة إلى (الحشاشين) جزءًا من حرب دعائية هدفت إلى إثارة الرعب في نفوس أعدائهم، لا سيما الصليبيين، الذين أطلقوا عليهم أوصافًا مشينة لتشويه صورتهم والتقليل من شأنهم

ويرى لويس ان اخبار الحشيشية قد نالت صدى واسع في التفكير والادب الاوربي ، سواء من خلال سمعتهم المرتبطة بالإخلاص الأعمى لقائدهم أو من خلال أسلوبهم في تنفيذ الاغتيالات ، وقد أثارت طريقتهم في التضحية الكاملة والطاعة المطلقة إعجاباً ودهشة في الغرب الأوروبي، مما أدى إلى ظهور إشارات أدبية وثقافية إليهم.

في الأمثلة التي ذكرها لويس :

١) الشاعر بروفنسال تروبادور في قوله لفتاته واصفاً اخلاصه لها (أنت ستحوزينني بقوتك أكثر من حيازة الشيخ لحشيشيته الذين يمضون لقتل أعدائه الفانين . . .) [٢٦] .

٢) رسالتان في الحب (وكما يخدم الحشيشية سيدهم دونما تردد أو إخفاق، هكذا خدمت أنا الحب، دون وعد بالإخلاص) و (أنه حشيشيها الذي يأمل بنوال الفردوس من خلال تنفيذ أوامرها) [٢٧].

فكلمة (حشيشي) برأي لويس قد سادت حتى الوقت الحاضر بمعنى الاغتيال اكثر من الولاء [٢٨]، وكان لتواجد الصليبيين في غربي سوريا في تحصيل معلومات اكثر عن الحشيشية ، واتاح ذلك الامر للداوية (فرسان الهيكل) والاسبتارية (فرسان المشفى) مراقبة قلاع الحشيشية مستحصلين من الإتاوات ، وجاءت رواية نقلاً عن وليم الصوري ان هناك محاولة باءت بالفشل لتوقيع تحالف بين شيخ الجبل وملك القدس [٢٩]، واضاف لويس رواية من صاحب الذيل على تاريخه مشككًا بصحتها دارت حول استقبال شيخ الجبل للكونت هنري أوف شمباني عام (٥٩٥ هـ /١١٩٨م) اثناء عودته من ارمينيا مستعرضاً مظاهر الطاعة العمياء والولاء المطلق لشيخهم [٣٠] .

ويعترف لويس ان الإدراك الأوروبي المبني على الفهم الصليبي رغم الاتصالات المباشرة للحشاشين ظل سطحيًا ومحدودًا ، إذ عدت من وجهة نظرهم طائفة محلية غامضة في سوريا دون إدراك لمكانتها ضمن المذهب الإسماعيلي أو صلتها بالإسلام ككل [٣١] ، ومما ورد ذكره في اعلاه نستدل على الاتي :

١) عد لويس الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي من أوائل الغربيين الذين رجح ارتباط الحشاشين في سوريا بإيران ، في رحلته عام (٥٦٣هـ / ١١٦٧ م) ، وأشار إلى أن أتباع الحشاشين في سوريا مرتبطون بشيخ الجبل ، وصف الحشاشين بأنهم يعيشون على قمم الجبال وبأنهم رافضة [٣٢] .

٢) عزز لويس رأي بنيامين في وجود علاقة بين حشاشي سوريا وايران ما نقله جيمس أوف فيتري (اسقف عكا) في مطلع القرن الثالث عشر، حول اصول الحشيشية في المشرق أي في (إيران)، ومنها انتقلت إلى سوريا ورغم ملاحظته هذه، إلا أن معرفته بالتفاصيل الدقيقة عن الطائفة كانت محدودة [٣٣] .

٣) بين لويس ظهور معلومات جديدة نقلها الأوروبيون من حشاشيه إيران في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، نقلت من تقارير الراهب الفيلندي وليم أوف روبروك، وهو من ضمن البعثة المرسلة من قبل ملك فرنسا لويس التاسع إلى قراقورم في مغولية ، إذ نقل مشاهداته من خلال رحلته (٦٥١ – ٦٥٣ هـ / ١٢٥٣-١٢٥٥م) عبورًا بإيران الحراسة المشددة التي فرضها المغول تحسبًا لتهديدات الحشيشية ، وكانت تلك الاحتياطات جاءت اثر محاولة الحشاشين اغتيال الخان الأعظم، ولقد امر الاخير بتوجيه جيشه في إيران لإبادتهم [٣٤].

مجلة آداب ذي قار للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٥٠ – أيلول لسنة ٢٠٢٥

ومن ضمن التسميات التي حرص لويس على نقلها وشرح معانيها هي كلمة (ملحد) ومنها تفسيرها الاسلامي ، محدداً هذه المرة التسمية بطائفة الإسماعيلية التي ينسب إليها فرع الحشيشية [٣٥].

اهتم لويس بنقل آراء الرحالة كعادته ومن ضمنهم ماركو بولو في رحلته عام (٦٧٢هـ/١٢٣٧م) وصفه لفردوس الحشاشين ومن يسمح لهم بدخولها. وقدم تصورًا مشوهًا عن الإسلام، بمقارنته زعيم الحشاشين بالنبي محمد (ﷺ)، مدعيًا أن الزعيم خدع أتباعه بأحلام فردوسيه لإقناعهم بطاعته وتنفيذ الاغتيالات، خاصة ضد الأمراء والقادة كما أشار إلى إرسال الشيخ دعاة إلى دمشق وكردستان لنشر دعوته في وظاهر ذلك في نص قوله (**دعي الشيخ في لغتهم اسم علاء الدين ، وقد سبب واد معين ، واقع بين جبلين بأن يغلق ، ثم حوله إلى حديقة ، هي أكبر وأجمل حديقة يمكن أن تقع عليها العين، حيث أنها مليئة بمختلف أنواع الفاكهة ، ولقد أنشأ فيها أروع ما يمكن أن يتصوره المرء من قصور وقاعات، كلها مغطاة بالذهب، وبروائع الصور، وهناك أيضاً عدداً من الغدران، تتدفق سائلة بالخمر والحليب، والعسل، والماء، وفي الحديقة عدد من السيدات مع جمع من أجمل فتيات العالم ، اللواتي يستطعن اللعب على جميع الآلات ، ويشدين بحلاوة، ويرقصن بطلاوة تخلب اللب، والسبب في صنع هذا، هو أن الشيخ قد رغب بأن يجعل شعبه يؤمن بأن هذا هو الفردوس في واقعة ، لذا صاغ الحديقة حسب الوصف الذي أعطاه محمد (ﷺ) لفردوسه ، حين بين بأنه سيكون حديقة جميلة ، تجري فيها السبل بالخمرة واللبن والعسل، والماء، ومليئة بأحب النساء ، كل ذلك من أجل الاستمتاع بالحياة هناك ، ومن المؤكد بما فيه الكفاية، أن مسلمي تلك البقاع، قد اعتقدوا بأنها كانت الفردوس . وما من رجل يسمح له بالدخول إلى الحديقة ، إلا أولئك الذين عزم الشيخ بأن يجعلهم حشيشيته، ولقد كان يوجد عند مدخل الحديقة حصن منيع، فيه من القوة ما يكفي لمقاومة العالم كله، وليس هناك منفذ آخر للولوج إليها، ولقد حفظ الشيخ في بلاطه عدداً من فتيان بلده الذين تتراوح أعمارهم ما بين الثانية عشرة والعشرين من الذين لديهم تذوق للجندية ، ولقد اعتاد أولاً أن يقص على هؤلاء قصصاً حول الفردوس ، تماماً مثلما اعتاد محمد (ﷺ) أن يفعل، وهم يؤمنون به كما آمن المسلمون بمحمد – ص - وبعدئذ يأخذ بإبرازهم إلى الحديقة أربعة أربعة ، أو ستة ستة ، أو عشرة عشرة كل وقت، ويتم ذلك بعد أن يجعلهم يتناولون أولاً مخدراً ما يرميهم في نوم عميق ، وبعد ذلك يأمر بهم فيرفعون ويطرحون داخلها ، وهكذا عندما يستيقظون يجدون أنفسهم في الحديقة .وعندما يستيقظون على هذا الحال فيجدون أنفسهم في مكان بهذه الروعة ، يخيل إليهم أنهم في الفردوس حقيقة ، وتلعب السيدات والعذارى معهم حتى يشبعن رغباتهم، وهكذا يحصلون على كل ما يود الشبان أن يحصلوا عليه ، ويودون ألا يتركوا هذا المكان أبداً .وأبقى هذا الأمير، الذي ندعوه بالشيخ، بلاطه في عظمة وأبهة، جعلت هؤلاء الجبليين السذج من حوله يعتقدون بتصميم أنه نبي عظيم، وعندما يريد أن يرسل واحداً من حشيشيته في أية مهمة ، يأمر بالمخدر الذي تكلمت عنه، فيعطى لأحد الفتيان في**

مجلة آداب الرافدين للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٥٠ – أيلول لسنة ٢٠٢٥

الحديقة، وبعدها يأمر به فيحمل إلى قصره، وهكذا عندما يفيق هذا الفتى ويجد نفسه في الحصن، وليس في الفردوس ، حيث كان مغموراً بالغبطة ، يقاد إلى حضرة الشيخ، حيث ينحني أمامه باحترام عظيم، كأنه يعتقد نفسه في حضرة نبي حقيقي، وعندها يقوم الأمير بسؤاله من أين قدم ؟ ، فيجيب بأنه قدم من الفردوس ، وبأنه كان كما وصفه محمد (ﷺ) في الشريعة، وطبعاً هذا يعطي الآخرين من الحضور من الذين لم يقبلوا بعد في الحديقة أعظم الرغبة للدخول إلى هناك ، وهكذا عندما يود الشيخ ذبح أحد من الأمراء، يقول لفتى كهذا : امض أنت واذبح فلاناً وفلاناً، وعندما تعود ستقوم ملائكتي بحملك إلى الفردوس ، وإذا ما مت ، فإنني أيضاً سأرسل ملائكتي لحملك وإرجاعك إلى الفردوس ، وبهذه الصورة يجعلهم يصدقونه، وهكذا فإن ما من أمر من أوامره، إلا ويودون أن يجابهوا أية مخاطر من أجل تنفيذه ، لأن رغبتهم الشديدة هي العودة إلى ذلك الفردوس الذي صنعه ، وبهذه المنهج يجعل الشيخ شعبه يغتال أي إنسان أراد الخلاص منه ، وهكذا أيضاً ألقى بالرعب في قلوب جميع الأمراء بدون استثناء، وجعلهم يدفعون الإتاوات له من أجل أن يعيش معهم بسلام وأمن ، وعلي أيضاً أن أخبركم بأن لدى الشيخ آخرين معينين يدينون بطاعته ويتبعون طرائقه ويعملون تماماً بالمنهج نفسه، ولقد بعث بواحد من هؤلاء إلى بلاد دمشق، وآخر إلى كردستان) [٣٦]

ونجد في رواية ماركو بولو انها تسهم في ترسيخ صورة نمطية سلبية عن الحشاشين، تصورهم كطائفة باطنية غامضة تعتمد على الخداع والمخدرات لكسب الأتباع. وتكشف هذه الروايات عن دوافع دينية متعصبة، خاصة عند مقارنتها بالسيرة النبوية، إذ تُستخدم للإساءة إلى الإسلام. كما تتضمن وصفًا جغرافيًا متناقضًا، وتضخيمًا للأسطورة، رغم اعترافها بتنظيم الحشاشين القوي. وتعكس هذه السرديات، المنتشرة في القرون الوسطى على يد مؤرخين ورحالة غربيين مثل ماركو بولو، محاولات متعمدة لتشويه صورة الطوائف الإسلامية، غالبًا بتحريض من خصومهم السياسيين والدينيين.

وعلى ما يبدو ان لويس يسعى الى التدرج في ما نقله من مصادره الى ربط الاسماعلية بالحشيشية و(شيخ الجبل) وان منشأها في سوريا ، نافياً عنها ان تكون من مصطلح إيراني ، مؤكدا ذلك من تعامل الصليبيين مع الإسماعيلية وكونها مصطلحاً محلياً دالاً على الاسماعيلية مستنداً على حد قوله بمصادر عربية وفارسية ، وهو بذلك ينقل الاستعمال الاوربي عبر الصليبيين، مفسراً مصطلح الشيخ الجبل ، ومن ثم شاع استخدام هذا المصطلح في ايران الذي القى اثاره في الفكر الاوربي وادبه بمفاهيمه وقصصه الاسطورية لينتقل من التاريخ الى الادب من قصة وشعر [٣٧].

زيادة على ذلك التأثير السياسي للحشيشية إذ استدل لويس بمجموعة من الشواهد التاريخية لبعض الشخصيات في نقل ادعاءات لبعض ملوك اوربا في تنفيذ اغتيالات سياسية على يد بعض الحشيشية، في

مجلة آداب الحضارة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٥٠ – أيلول لسنة ٢٠٢٥

الوقت ذاته شكك لويس في ان يكون هناك اتفاقيات بن الجانب الاوربي الصليبي وبين شيخ الجبل لعدم حاجة كلا الطرفين في تنفيذ مخططاته ضد اعدائه [٣٨].

نخرج مما تقدم في اعلاه بجملة من الاستدلالات :

١) لقد لقيت الصور الأسطورية المرتبطة بـ(حدائق الفردوس) و(الاغتيال المتقن) إلى جانب شخصية (شيخ الجبل) صدىً واسعًا في المخيلة الأوروبية، لما تحمله من غرابة وغموض أثار الفضول والاهتمام.
٢) توضح هذه الروايات كيف يمكن أن تتحول الحكايات المحلية إلى أساطير عالمية عند انتقالها بين الثقافات، لا سيما عندما تُعاد صياغتها في سياقات مختلفة.
٣) لم يقتصر تأثير (الحشاشين) على الأدب والفكر الأوروبي فقط، بل امتد ليشمل البُعد السياسي أيضاً، من خلال توظيف حوادث الاغتيال — سواء أكانت حقيقية أم مبالغًا فيها — كوسيلة لتفسير المؤامرات السياسية المعقدة أو تصفية الحسابات بين القادة الأوروبيين.
٤) إن ربط تنظيم الحشاشين ببعض الأحداث السياسية في أوروبا يعكس ميلاً لتقديم تفسيرات مبسطة للنزاعات الداخلية، مثل الصراع بين ريتشارد قلب الأسد وملك فرنسا، والذي أُثير بعد اعتقال خمسة عشر شخصاً زُعم أنهم من الحشاشين أُرسلوا لاغتيال ريتشارد[٣٩] ، إلا أن اعترافات لويس كشفت أن الطائفة لم يكن لها أي دور فعلي في تلك الاغتيالات، إذ لم تكن لها مصالح حقيقية في أوروبا الغربية ، وهو ما ينطبق أيضاً على غياب أي دوافع أوروبية للتدخل في شؤون الحشاشين.

وعلق برنارد على دراسة دينيس ليبي دي باتلي التي تناولت جماعة الحشاشين معتبراً انها دراسة قاصرة ومحدودة إذ لم تضف جديدًا على المستوى المعلوماتي نتيجة اعتمادها على مصدر واحد فقط، الا وهي المصادر الصليبية، دون الرجوع إلى غيرها ومع ذلك، قدم دي باتلي رؤية مغايرة من خلال الربط بين مفهوم الحشاشين وبعض الأيديولوجيات المعاصرة، خصوصًا في ظل تنامي ظاهرة الاغتيالات السياسية، مستندًا في ذلك إلى مجموعة من الأمثلة ذات الصلة، وقد تمحورت نظرته إلى جماعة الحشاشين حول عدد من الجوانب الأساسية، منها:

١) **تعميق الاحكام المسبقة:** تصوير الحشاشين كجماعة عنيفة ساهم في ترسيخ وتغذية الأفكار والصور الذهنية التقليدية لدى الأوروبيين عن ارتباط الطائفة بالاغتيالات والعنف.
٢) **الارتباط بالسياق الأوروبي:** كانت عمليات اغتيال شخصيات بارزة مثل)ويليام أوف ناسو)، و)هنري الثالث)، والتهديدات التي طالت)إليزابيث) تدخل ضمن إطار الصراعات السياسية والدينية في أوروبا، مما جعل تصوّر الحشاشين يتماشى مع واقع تلك المرحلة.

٣) التأثير بالواقع المحلي: الفهم الأوروبي للحشاشين لم يكن مستقلاً، بل تأثر بالسياقات السياسية والدينية والاجتماعية التي كانت سائدة في أوروبا آنذاك.

بحث لويس في أصول فرقة الحشاشين وهويتهم ضمن سياق الدراسات الاستشراقية في أوروبا خلال عصر التنوير، مسلطًا الضوء على جهود مكتبة بارثلميودي هربلوت، التي أصدرت عام (١١٠٩هـ/١٦٩٧م) كتابًا مهمًا في دراسة الإسلام والإسماعيلية، مستندًا إلى المصادر الإسلامية لفهم هذه الطائفة ومكانتها ضمن التاريخ والعقيدة الإسلامية، وقد قدّم الكتاب تفسيراً لهوية الحشاشين، معتبرًا إياهم فرعًا منشقًا عن الإسماعيلية، التي تعود بنسبها إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق(عليه السلام)المتصل نسبه بالنبي محمد (ﷺ) من خلال فاطمة الزهراء والإمام علي (عليهما السلام)، كما أضاف مستشرقو القرن الثامن عشر معلومات جديدة حول عقائد الإسماعيلية وصلتها بالحشاشين، وحاولوا تفسير أصل اسم (حشيشي)، لكن المصادر العربية المتاحة حينها لم تقدم شرحًا واضحًا، وطرحت اشتقاقات لغوية متعددة لم تكن مدعومة بأدلة قوية [٤٠].

ويرى لويس أن بداية القرن التاسع عشر شهدت اهتماماً متزايداً بالحشاشين نتيجة التحولات السياسية والثقافية في أوروبا، مثل الثورة الفرنسية وحملة نابليون على الشرق الأوسط، مما حفز الدراسات حولهم. ويعد سلفستر دي ساسي من أبرز الباحثين في هذا المجال، حيث قدم عام (١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م) مذكرة اعتمد فيها على مصادر عربية نادرة، مما جعل دراسته نقطة تحول في فهم الحشاشين، خصوصًا لتفسيره اللغوي الدقيق لكلمة (حشيشي) بعيدًا عن المفهوم الشائع لكلمة (حشاش) [٤١].

ناقش لويس موضوع الحشيش واستخداماته وربطها بأساطير وقصص قديمة عن الطائفة المعروفة بـ (الحشاشين) شرح الأصل اللغوي لكلمة (حشيش) التي تعني العشبة المخدرة، مؤكدًا أن مصطلح (حشاش) المستخدم لوصف متعاطي الحشيش هو حديث العهد ، من جهته رفض دي ساسي الربط بين اسم (الحشيشية) وإدمان الحشيش، لكنه أشار إلى احتمال استخدام زعماء الطائفة للحشيش كوسيلة لإقناع أتباعهم بوعد الفردوس ، كجزء من تدريبهم لتنفيذ مخططاتهم. وربط دي ساسي أيضًا بين الحدائق السرية التي تحدث عنها ماركو بولو، والحدائق التي كان يدخلها الأتباع وهم تحت تأثير المخدر [٤٢].

في الوقت ذاته انتقد لويس الرأي الذي يربط بين الحشيش والطائفة المعروفة بـ(الحشاشين)، معبرًا عن شكه في الرواية التي تزعم أن هذه الطائفة استخدمت الحشيش لجذب أتباعها أو التحكم فيهم. وأوضح أن تأثير الحشيش كان معروفًا في تلك الفترة ولم يكن سرّاً مخفياً، كما أن هناك نقصاً في الأدلة من مصادر الإسماعيليين أو المؤرخين السنة الموثوقين التي تؤكد هذه الادعاءات، وأضاف أن أصل تسمية (الحشيشي) قد يكون محليًا سوريًا وصيغة ازدراء عامة تعبيرًا ساخرًا ضدهم، وليس تسمية فعلية وأن هذه التسمية كانت

أداة للتشنيع عليهم، وقد استغلها الغربيون لتفسير سلوك الطائفة الذي بدا غريباً أو غير مفهوم في سياقهم الثقافي [٤٣]

ومن سلسلة الدراسات الاستشراقية الاوربية التي اشار اليها لويس عقب مذكرة سلفستر دي ساسي ما قدمه المستشرق النمساوي جوزيف فون هامر الذي نشر بالألمانية في ستوتغارت في عام (١٢٣٤هـ / ١٨١٨م) ، ثم نشر بتراجم فرنسية وإنكليزية في عام (١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م) وعام (١٢٥١هـ / ١٨٣٥م) ، اعتماده مصادر الشرقية لرسم صورة الحشيشية كتنظيم سري كان له تأثير كبير ومخيف في العالم الإسلامي، في إطار رؤية متأثرة بالأوضاع السياسية والاجتماعية لعصره والخوف من الجمعيات السرية وآثار الثورة الفرنسية ، مقارنًا الحشيشية بجماعات أخرى مثل الداوية والجوزويت والمستنيرين والماسونية[٤٤] ، وعد الحشيشية نموذج مبكر للجمعيات السرية الثورية التي ظهرت لاحقًا في أوروبا ، وقد ربط هامر بين ظهور الحشيشية من الإسماعيليين والتأثيرات المشابهة التي أحدثتها الثورة الفرنسية في الغرب، محاولاً تسليط الضوء على ما اعتبره (خطر) تلك الجماعات على الأديان والنظم السياسية التقليدية [٤٥] ، اضف إلى ذلك التأثير العميق الذي تركه كتاب جوزيف فون هامر عن الحشاشين، واعتبره لويس مصدرًا رئيسيًا في تشكيل صورة هذه الجماعة في المخيلة الغربية على مدى فترة طويلة، وفي الوقت نفسه أكد أن البحث العلمي في فرنسا شهد تطورًا ملحوظًا فيما يتعلق بتاريخ الإسماعيلية، وذلك بفضل اكتشاف النصوص العربية والفارسية ودراستها، كما نوه بإسهامات المؤرخين الفارسيين، وخصوصا الجويني ورشيد الدين ، إذ تمكن كلاهما من الوصول إلى وثائق الإسماعيلية في قلعة ألموت وتوثيقها، وقد لعب هذان المؤرخان دورًا بارزًا في دراسة الإسماعيلية خلال العصر المغولي، حيث قدما أوصافًا شاملة لإمارة الإسماعيلية في شمال إيران[٤٦] .

وعند مقارنة المفهوم والوصف للحشيشية مع مصادر التراث الاسلامي وقفنا على العديد من التسميات ، جاء معظمها موافقاً لوجهة نظر المؤرخ وعقيدته، مثال ذلك تسمية (ملاحدة) [٤٧] التي اطلقت عليهم من بعض المؤرخين المتحاملين عليهم موجهين اصابع الاتهام بالكفر والالحاد وتكاد هذه التسمية تطلق على فرق الفاطمية الاسماعيلية من قبل اهل الفرق والمذاهب المعادية لهم وهي بذلك تعكس وجهة نظر كتابهم ومؤلفيهم.

في حين اعطى صنف اخر من المؤلفين تسمية عامة شاملة قصدت فيها انتمائهم المذهبي إذ اطلقوا علي الحشاشين تسمية (الإسماعيلية) ، ومن هذه الاخيرة من تناول التسمية من وجهة نظر سياسية فاشتق منها (النزارية) اشارة منه وتنويه إلى حدوث انقسام سياسي في الخلافة الفاطمية ، اسفرت عن مسمى اخر ظهر عقب تجليات عقائدية فاطلقوا على اتباعها (الدعوة جديدة) [٤٨] .

مجلة آداب الحضارة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٥٠ – أيلول لسنة ٢٠٢٥

ومن الجدير بالذكر ان القلة اطلق عليهم مسمى (الحشيشية) او (الحشاشين) [٤٩] وهي بالكاد تكون متأخرة متأخرة تأثرت بمؤرخي الحروب الصليبية كان القصد منها التقليل من شأن هذه الطائفة ، ويرى احد الباحثين ان مصطلح (الحشاشين) قد اخذ طابعاً أسطوريًا محملا بالغموض والموت وصار يطلق على التنظيم الذي ينظر إلى أتباعه كـ (قتلة) وكان للروايات التي احيكت حول حسن الصباح وقلعة الموت والاغتيالات ، وخصوصًا في المصادر الغربية دورًا فعالاً في نشر هذا الاسم وترسيخه، وهو مأخوذ من اسم المادة المخدرة التي يقال إن الإسماعيليين تعاطوها وقد أطلق عليهم اسم (الحشاشين) بسبب شائعات مفادها أن حسن الصباح جعل الشباب الذين تجمعوا حوله يشربون الخشخاش، ويرجح هذا الباحث اول استخدام لمصطلح (الحشاشية) من قبل النظام الفاطمي في القاهرة عام(٥١٧هـ / ١١٢٣م) ، كما استخدم مصطلح (الحشاشية) عدة مرات لوصف النزاريين السوريين مشيرًا الى عدد من مصادر التراث الاسلامي فقد استعمل المصطلح في رسالة إخوان الصفا المناهضة للإسماعيليين النزاريين، والبنداري في كتابه (زبدة النصرة ونخبة العصرة) والتي قصد بها النزاريين في سوريا وليس في ايران [٥٠] .

الخاتمة ونتائج البحث

١) عنى لويس اولاً بنقل نصوص معلوماته من مصادر اوربية ، في الوقت ذاته اشاد بالدور الذي لعبته المصادر الاسلامية من فارسية وعربية في رسم صورة عن الحشيشة لتقديمها للمجتمع الاوربي .
٢) حرص لويس على رصد المرويات المتعلقة في الاختلاف في المفهوم والاصل اللغوي لكلمة حشيشية .
٣) لم يكن لويس ناقلاً للنص انما ناقدًا ومحللاً له حتى وان اختلفت مصادره.
٤) استبعاد فكرة ارتباط كلمة الحشيشية بالعشبة المعنية كمخدر.
٥) جدلية التسمية ما بين المصادر الاسلامية جاء معظمها موافقاً لوجهة نظر المؤرخ وعقيدته.

مجلة آداب الحضارة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٥٠ – أيلول لسنة ٢٠٢٥

٦) الاقرار بأهمية المصادر الاسلامية عقب ما قدمه سلفستر دي ساسي بمذكرته، لرسم صورة عامة عن الحشيشية .

العدد ٣ – المجلد ٥٠ – أيلول لسنة ٢٠٢٥

الهوامش

(١) براون ، تاريخ الادب في ايران ، ٢٨٢ – ٢٨٤ .
(٢) براون ، تاريخ الادب في ايران ، ٢٨٢ – ٢٨٤ ؛ الفاروقي ، المعجم القانوني، ١/ ١٥٤ .
(٣) الأمين ، الإسماعيليون والمغول ، ١٠٥ .
(٤) الحفني ، المعجم الشامل ، ٢٩٩ .
(٥) الأمين ، الإسماعيليون والمغول ، ٢١٠ .
(٦) الأمين ، الإسماعيليون والمغول ، ١٠٩ – ١١٠ .
(٧) فرحات ، الحشاشون بين الثورة والإرهاب ، ٢٩ – ٣٣ .
(٨) الطهراني ، نور ملكوت القرآن ، ٤ / ١١١ .
(٩) لويس ،الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١١
(١٠) لويس ،الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١١ – ١٢ ؛
The American Historical Review , Directorium ad Faciendum Passagium Transmarinum, 2 / 104
(١١) لويس ،الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١١ .
(١٢) لويس ،الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١١ .
(١٣) لويس ،الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٢ .
(١٤) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ١ / ١٩١ ، ١٩٥ .
(١٥) لوكة : مدينة إيطالية عامرة تقع في الجزء الشمالي الغربي من وسط إيطاليا ، وهي على مسيرة اثني عشر يوما من بردين التي عندها تبدأ تخوم المانيا . ينظر : التطيلي ، رحلة بنيامين التطيلي ، ٣٦٢ .
(١٦) لويس ،الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٢ ؛ Villani , Cronica,11/ 903
(١٧) أليغييري ، الكوميديا الإلهية ، ٣٠٣ ؛ لويس ،الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٢ .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية

(١٨) لويس ،الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٢ .
(١٩) لويس ،الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٢- ١٣ .
(٢٠) لويس ،الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٣ .
(٢١) لويس ،الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٣ – ١٤ ؛ Arnoldi Chronica , 274 - 275 , Lübeck Slavorum
(٢٢) لويس ،الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٣ – ١٤ .
(٢٣) الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ٢ / ٩٦٦ ؛ لويس ،الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٤ .
(٢٤) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ / ٢١٣ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٤١ / ٥٥ – ٥٦ ؛ لويس ،الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٤ ؛ Lübeck, Arnoldi Chronica Slavorum, 145 .
(٢٥) لويس، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٥ ؛ Lübeck, Arnoldi Chronica Slavorum, 145 – 146
(٢٦) لويس، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٥ ؛ The Troubadours and the ,245 , Chambers Assassins
(٢٧) لويس، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٥ ؛ Chambers ,The Troubadours , 246 - 247 and the Assassins
(٢٨) لويس، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٥ – ١٦ .
(٢٩) الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ٢ / ٩٦٧ – ٩٦٩ ؛ لويس، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٦.
(٣٠) لويس، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٦ .
(٣١) لويس، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٦ – ١٧ .
(٣٢) التطيلي ، رحلة بنيامين التطيلي ، ٢٣١ – ٢٣٢ ؛ لويس، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٧ .
(٣٣) لويس، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٧ .
(٣٤) لويس، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٧ ؛ Rubruck , The journey of , 222 William of Rubruck
(٣٥) لويس، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٧ .
(٣٦) بولو ، رحلات ماركو بولو ، ١ / ٨٩ – ٩٢ ؛ لويس ، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ١٨ - ١٩ .
(٣٧) الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ٢٠ -٢١ .
(٣٨) الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ٢٠ .
(٣٩) الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ٢٠ .
(٤٠) لويس، الدعوة الاسماعيلية الجديدة، ٢٢ .
(٤١) لويس، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ٢٣ .
(٤٢) لويس،الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ٢٣ – ٢٤ .
(٤٣) لويس،الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ٢٤ .
(٤٤) لويس،الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ٢٤ – ٢٥ .
(٤٥) لويس،الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ٢٥ .
(٤٦) لويس،الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ٢٥ .
(٤٧) ابن العمراني ، الإنباء في تاريخ الخلفاء ،٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٢٤ ؛ الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق، ٣١١ ؛ خريدة القصر ، ٥ / ١٨٦ ، ٧ / ٢٤٢ ، ١٠ / ١٥ ؛ ابن اسفنديار ، تاريخ طبرستان ،١١٩ ، ١٢١ ، ١٣٣ ؛الرافعي ، التدوين في أخبار قزوين ،١ / ٣٣ ، ٢ / ٣٠٩ ، ٤١٥ ، ٣ / ٢٠٣ ٢٧٤ ؛ الحموي ، معجم البلدان، ٢ / ٤٣٣ ، ٤ / ٢٩ ، ٣٣ ، ٥ / ٢٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل ،١٢ / ١٥٣، ١٥٨، ٤٩٥ ؛ ابن المستوفي ، تاريخ اربل، ٢ / ٢٩٩ ؛ المحلي ، الحدائق الوردية ، ٢ / ٢٠٠.

(٤٨) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ١ / ١٩١ ، ١٩٥؛ عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، ٢٩٠ ؛ الطوسي ، جواهر الفرائض ، ٢٢ ؛ براون ، تاريخ الادب في ايران ، ٢١٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ .
(٤٩) الباخرزي ، دمية القصر ، ٣ / ٧٥ ؛ الغزالي ، محك النظر ، ١ / ١٨ ؛ عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ،٢٩١ ، ٣٦٤ ؛ ألأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق، ٢٩٤ ؛ مجهول ، الإستبصار ، ٥١ ؛ الملك المنصور ، مضمار الحقائق ،١ / ٦٣؛ البنداري ، مختصر سنا البرق ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٨١ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ١/ ٩.
(٥٠) أرايانجان ، الحشاشون ، ٦٧ .

قائمة مصادر البحث

أولاً : مصادر اولية

ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)
١. الكامل في التاريخ ، دار الصادر – بيروت ، ١٩٦٥ م .
ابن اسفنديار : محمد بن حسن (ت . ق ٦ هـ / ق ١٢ م)
٢. تاريخ طبرستان ، ترجمة وتقديم : أحمد محمد نادى ، طـ ١ ، المجلس الاعلى للثقافة – القاهرة ، ٢٠٠٢ م .
أليغييري : دانتي (ت ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م)
الكوميديا الإلهيةً الجحيم، تر: حسن عثمان ، مراجعة : معاوية عبد المجيد، طـ ٧، دار المدى – بيروت ، ٢٠٢١ م .
الباخرزي : علي بن الحسن بن أبي الطيب (ت ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م)
٣. دمية القصر وعصرة أهل العصر ، تح : محمد التونجي ، ١٩٧١ م .
البنداري : أبو إبراهيم الفتح بن علي بن محمد الاصفهاني (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م)
٤. مختصر سنا البرق الشامي ، المكتبة الشاملة ، د . ت .
بولو : ماركو (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م)
٥. رحلات ماركو بولو ، تر : عبد العزيز جاويد ، طـ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ م .
التطيلي : بنيامين (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م)
٦. رحلة بنيامين التطيلي ، تح : عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، طـ ١ ، المجمع الثقافي – ابو ظبي ، ٢٠٠٢ م .

الحموي : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ ه / ١٢٢٨ م)
٧. معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ، ١٩٧٩ م .
الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)
٨. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، طـ ١ ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ١٩٩٤ م .
الرافعي : عبد الكريم بن محمد القزويني (ت ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م)
٩. التدوين في أخبار قزوين ، تح : عزيز الله العطاردي ، طـ ١ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٩٨٧ م .
الشهرستاني : ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبو بكر أحمد (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م)
١٠. الملل والنحل ، تح : محمد سيد كَيلاني ، طـ ٢ ، دار المعرفة – بيروت – لبنان ، ١٩٧٥ م .
الصوري، وليم (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م)
تاريخ الحروب الصليبية (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار) ، تر : سهيل زكار، دار الفكر - بيروت - لبنان، ٢٠٠٣ م .
الطوسي : خواجة نصير الدين (ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م)
١١. جواهر الفرائض ، تح : خالد الغفوري ، طـ ١ ، مؤسسة دائرة المعارف – قم ، ٢٠٠٥ م .
ابن العديم : كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م)
١٢. زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تح : سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٥١ م .
الأصفهاني : عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م)
١٣. تاريخ دولة آل سلجوق ، تح : يحيى مراد ، طـ ١ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ٢٠٠٤ م .
١٤. خريدة القصر وجريدة العصر ، تح : جميل سعيد ، طـ١ ، المجمع العلمي العراقي – عراق – بغداد ، ١٩٥٥ م .
الحكمي : نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي اليمني (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م)
١٥. تاريخ اليمن ، تح : حسن سليمان محمود ، طـ ١ ، مكتبة الارشاد – صنعا ، ٢٠٠٤ م .
ابن العمراني : محمد بن علي بن محمد (ت٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م)
١٦. الإنباء في تاريخ الخلفاء ، تح : قاسم السامرائي ، طـ١ ، دار الآفاق العربية – القاهرة ، ٢٠٠١ م .
الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م)
١٧. محك النظر ، تح : رفيق العجم ، طـ ١ ، دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٤ م .
ابن المستوفي : شرف الدين أبي البركات المبارك بن أحمد اللخمي الأربلي (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م)
١٨. تاريخ اربل (نباهة البلد الخامل بمن ورده من الاماثل) ، تح : سامي بن السيد خماس صقار ، طـ ١ ، دار الرشيد للنشر – عراق ، ١٩٨٠ م .
المحلي : حميد بن أحمد بن محمد (ت ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م)
١٩. الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية ، تح : المرتضى بن زيد المحطوري الحسني ، طـ ١ ، مكتبة بدر – يمن – صنعا ، ٢٠٠٢ م .
الملك المنصور : محمد بن عمر المظفر بن شاهنشاه الأيوبي (ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م)
٢٠. مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تح : حسن حبشي ، عالم الكتب – القاهرة ، د . ت .
مؤلف مجهول : كاتب مراكشي (ت . ق ٦ هـ / ق ١٢ م)
٢١. الإستبصار في عجائب الأمصار ، دار الشؤون الثقافية – بغداد ، ١٩٨٦ م .

ثانيًا : مراجع ثانوية

مجلة آداب ذي قار للعلوم الإنسانية العدد ٣ – المجلد ٥٠ – أيلول لسنة ٢٠٢٥

أرايانجان ، عائشة أتيجي
٢٢. الحشاشون الأساطير والحقائق ، ترجمة : أحمد زكريا وملاك دينيز أوزدمير ، دار النهضة العربية بيروت – لبنان ، ٢٠٢٥م
الأمين ، حسن
٢٣. الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي ، طـ ٢ ، مركز الغدير للدراسات الإسلامية – بيروت – لبنان ، ١٩٩٧ م .
براون ، ادوارد
٢٤. تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي ، ترجمة : ابراهيم امين الشواربي ، تقديم : محمد السعيد جمال الدين وآخرون ، طـ ١ ، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة ، ٢٠٠٤ م .
الحفني ، عبد المنعم
٢٥. المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، طـ ٣ ، مكتبة مدبولي – مصر – القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
الطهراني ، محمد الحسين الحسيني
٢٦. نور ملكوت القرآن من أقسام أنوار الملكوت ، طـ ١ ، دار المحجة البيضاء – بيروت – لبنان ، ٢٠٠٠ م .
الفاروقي ، حارث سليمان
٢٧. المعجم القانوني ، طـ ١ ، مكتبة لبنان – بيروت – لبنان ، ١٩٩١ م .
فرحات ، أميرة الشيخ رضا
٢٨. الحشاشون بين الثورة والإرهاب ، طـ ١ ، دار المحجة البيضاء – بيروت – لبنان ، ٢٠١٢ م .
لويس ، برنارد
٢٩. الدعوة الإسماعيلية الجديدة (الحشيشية) ، ترجمة : سهيل زكار ، طـ ١ ، دار الفكر – دمشق ، ١٩٧١ م .

ثالثاً / المصادر الأجنبية :

Lübeck, Arnold of (ت 608 هـ / 1212 م)

30. Arnoldi Chronica Slavorum , Recensione I. M. Lappenbergii, Bibliopolii Hahniani - Hannoverae , 1868.

Rubruck , William of (ت 695 هـ / 1295 م)

31. The journey of William of Rubruck to the eastern parts of the world 1253-1255, Translation and editing William Woodville Rockhill, Hakluyt Society - London, 1942 .

Villani, Giovanni (ت 749 هـ / 1348م)

32. Cronica, a cura di G. Porta, Edizione di riferimento: Nuova Cronica, Fondazione Pietro Bembo/Guanda, Parma , 1991 .

رابعاً / الدوريات الاجنبية :

مجلة آفاق الحضارة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٥٠ – أيلول لسنة ٢٠٢٥

The American Historical Review

33. Directorium ad Faciendum Passagium Transmarinum, Vol. 13, No. 1 , Oxford Journal - Oxford University Press , 1907.

Chambers , Frank M .

34. The Troubadours and the Assassins , Publish The Johns Hopkins University Press , Vol. 64, No. 4, 1949 .